# الرسومات البونية ببلاد المغرب القديم

د. محمد بن عبد المؤمن •

تعتبر الرسومات الجدارية داخل الغرف الجنائزية من بين أهم المصادر الضرورية في التاريخ القديم التي لا يستغني عنها الباحث عند تطرقه للمواضيع الإسكاتولوجية التي تصنّف هي الأخرى ضمن تاريخ الذهنيات، حيث أمكن استخلاص منها جوانب من معتقدات البونيينالأخروية،(١) فقد احتوت على مادة هامة غالبا ما أراد أصحابها التعبير عن رحلة الروح * إلى العالم الآخر .

ما صادفنا أثناء دراستنا لهذا النوع من المواضيع أنّ رحلة أرواح الموتى إلى العالم الآخر كانت تتمّ عبر القارب، وأحيانا أخرى بواسطة الحيوانات كالطيور على سبيل الذكر لا الحصر، فكان لزاما على روح الميت عبور الانهار، والمسطحات المائية التي تفصل بين العالمين الدّنيوي،والأخروي بواسطة القوارب، لذلك عمل البونيون مثل باقي شعوب الحضارات القديمة على تهيئة هذه الاخيرة من أجل إتمام رحلة أرواح موتاهم باتجاه العالم الآخر مثلما أشارت إليه تقارير التنقيبات بـ:

(درمش- Dermech) أين كشف (الأب دي لاتر- PèreDelattre) بالحفرة الجنائزية رقم ٩٠ على قارب يمتطيه شخص جالس برأس مقطوعة، ويعلّق على ذلك بأنه تأكيد على رحلة الميت(٢)، كما وجدت مجموعة من القوارب مرسومة، وأخرى منقوشة على جدران غرف جنائزية بكل من جبل (بهليل- JbelBehlil)(٣)بكركوان، الذي يظهر فيه القارب بمجاديفه، وأشرعته، وب:(موقدس-*Magods)، وجبل(شوشو)(٤)،و(كاف البليدة) ، و(وادي مقاسبية-Oued Magasbaia)(٥)بتونس.

يبقى فنّ التّصوير أصيلا على الجدران لدى سكان بلاد المغرب القديم، فاهتموا بالرّسم على الصّخور منذ ما قبل التاريخ مثلما تشير إليه رسومات التّاسيلي بالجزائر، وفزّان بليبيا، وجبال سالات بتونس. وعرف البونيّون تزيين جدران غرفهم الجنائزية برسومات تعلّقت بالعالم الآخر، وفي الشأن نفسه يذكر(محمد حسين فنطر)، ما يلي: "... **ولا شك أن غالب الرسوم إزدانت بها جدران القبور تتعلق بما وراء الحياة، أي بالشؤون الأخروية، ويكون حديث الصّور سردا، ويكون بالإيحاء، والمجاز...**" (١).

---

• كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية - جامعة وهران- الجزائر

(١) محمد حسين فنطر، الحرف الصورة في عالم قرطاج، أليف، منشورات البحر الأبيض المتوسط ، مركز النشر الجامعي، تونس، ١٩٩٩، ص٢٤٨.



المنارة للاستشارات
www.

كشف التنقيبات عن مناطق بتونس إحتوت على هذا النّوع التّصويري داخل غرف الدّفن التي ترجع للفترة البونية، مثل (الخمير-Khmirs) بالشمال الغربي التونسي، و(كاف البليدة)، وكركوان، والقبر رقم ٨ بجبل (ملزّة-JbelMelezza) ، وحوانيت جبل (بهليل-JbelBehlil)، و (سيدي بوعزيز-SidiBou Aziz)، و(مجنة قربي- MejnaKorbi)[٢]، التي رسمت بالطبشور الأحمر المكون من مادة ترابية تحتوي على أكسيد الحديد[٣].

لكن الرّسومات التي وجدت داخل هذه الغرف الجنائزية، لم يعثر عليها بكل ربوع العالم البوني، وغيّبت بمدافن قرطاجة، و(حضرموتوم) سوسة، و(أوتيكا- Utique)[٤]، و(غورايا)، و(الأندلسيات)، و(ليكسوس)، ومناطق أخرى من هذا العالم. ويرجح بعض الباحثين أن ذلك مرتبط بمدى تواجد اللّوبيين الذين كان تواجدهم مكثف بالوطن القبلي، وجبال الخمير، والمزاق، بمعنى مناطق الساحل التونسي، إذ تكثر رسومهم[٥].

لكن السّؤال المطروح: لماذا لم يعثر على مثل هذه الرّسومات بالجزائر التي عرفت عدة مواقع بونية تزامنت مع انتشار اللّوبيين بها؟ والشأن نفسه بالنسبة للمغرب الأقصى، وليبيا؟ حيث أن العناصر اللّوبية كانت منتشرة في هذه المناطق؟

يحتمل أن يعود ذلك إلى قلّة التّنقيبات، على عكس تونس التي حظيت بالعناية التامة لأنها مركز الحضارة البونية، أو لأنّ سكّان المناطق الأخرى يكونون قد اختاروا تعابير رمزية أقل كلفة للتعبير عن اعتقاداتهم حول العالم الآخر، فاكتفوا بالطّلاسم، والتّعاويذ التي لا تخلو هي الأخرى من المفعول السحري على الميّت، كالجعلان، وقشور بيض النعامة، وزهرة اللّوتس، والأقنعة، التي كانت تمتلك نفس وظيفة الصّور الجدارية والمنحوتات، والأشكال الهندسية[٦].

---

([2])Mansour Ghaki, Recherches sur les rapport entre les Phénico-Puniques et les Libyco-Numides ,V^éme^siecle – I^er^,avantJ.c,thése de III^éme^ cycle, université de Paris I , Panthéon, Sorbonne,1979, manuscrit,p 157.

([٣]) محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، ص ٢٤٩.

([٤]) نفسه، صص ٢٥٤-٢٥٥.

([٥]) نفسه، ص٢٥٥.

([6]) Fernando Prados Martinez, l'iconographie du nefesh dans la plastique Punique, entre Carthage et la péninsule Ibérique, Manuscrit, sd, p 11.



المنارة للاستشارات
www.

**أ- رسم كاف البليدة**

تمّ وصف رسم حانوت (كاف البليدة-Kef El Blida) *بتونس لأول مرّة من طرف (مرسيل سولينياك- M.Solignac)، وعلّق عليه عدة مرّات من طرف باحثين** من جملتهم (محمد حسين فنطر) الذي ربط مضمونه بموضوع بحثنا، حيث قال عنه: "... ففي ما يخص مغارة (كاف البليدة) مازال الاختلاف قائما حوله، فبعضهم يقترح ضمّها إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وهي مؤارخة لا تستند إلى مقاييس قاطعة..." ثم يبيّن الاختلاف بين الباحثين حول موضوع هذا الرسم : **"...** ما زالت تثير تحفظات بعض المؤرخين، لا سيما عناصر اللوحة تختلف من دارس لآخر..." وحول هذا الإختلاف يذكر :"... فهذا يشير إلى سلم، ونحن لم نر سلّم... إن الصورة التي اعتبرها (الأب ج.فرون- J.Ferron) سلّما قد تمثل شبكة صيد، وشيء آخر يعسر تشخيصه، والصّورة التي اعتبرها (مرسيل سولينياك) أخطبوطا لا تمثّل في الحقيقة سوى سعيفات..." [٨].

وجد هذا الرّسم الجداري على بعد ١٠ كلم جنوب غرب (هنشيرزاقا- HenchirZaga)، تم اكتشافه سنة ١٩٠٠م من طرف الملازم (أوفارت- Lt. Hovart)، كان محلّ عدّة دراسات وتأويلات من بينها دراسة (مونيكلونقرستاي- M.Longerstay) الذي اعتبر أن القارب حربي بحكم أنه يحمل على متنه محاربين مسلّحين، بينما يذكر (سولينياك) أنه يشهد للعلاقة بين الشمال التونسي والعالم الإيجي قبل وصول الفينيقيين، أصوله كريتية، ويرجع تاريخه إلى نهاية عصر البرونز[٩].يرى (كامبس) أن الرّسم يمثل طابعا جنائزيا، والقارب هو رمز للموت، أو الرّحلة التي يجب أن يقوم بها الميّت نحو العالم الآخر، وأرجعها إلى الفترة الأولى من الألفية الأولى قبل الميلاد.

والمشهد الرّئيسي يمثل قاربا بمقدمة قائمة، وبشراع مطوي عند المنتصف، والظّاهر أن هذا القارب كان قريبا من الشاطئ، ومزوّد بمجدافين طويلين، تتوسطه سارية، يظهر على متنه سبعة أشخاص مسلحين برماح ثلاثية الرؤوس، يرتدون خوذات مدببة الرأس، ويحملون دروعا. ومن بين مشاهد

---

*ينظر الصورة

1S.Lancel, Carthage,éd , Céres, Tunis, 1999, p 311, Fig 120.
G.Camps,Aux Origines de la bérberie, monuments et rites funéraires protohistoriques, éd, Doin , Paris,1963, pp

**التفاصيل ينظر: ١٠٥-١٠٨ لمزيد من

([٨]) محمد حسين فنطر، الحرف الصورة..، ص٢٥٥.

([٩]) M.Longerstay, Représentations de navires archaïques en Tunisie du nord, Karthago, XXII, 1990, pp 36-37



المنارة للاستشارات
www.

هذا الرّسم الرئيسية بروز شخص عار بيديه حدأة وبالأخرى خوذة، وآخر يبدو سابحا، وفي حالة فرار من تهديدات الشّخص الأول الواقف على ظهر القارب(١٠).

إختلف الباحثون حول هذا الرّسم، فمنهم من رشّح أصوله الكريتية، والشّخص الواقف المتوّج هو إلهها كريتيا(١١)، والأسلحة الموصوفة هي النماذج الأكثر إنتشارا في بحر إيجا(١٢)، بينما يرى آخرون أن الشّخص الواقف يحتمل أن يكون الإله(بعل أمون)(١٣)، وبالتّالي يصعب تحديد أصوله هل كانت إيجية أم فينيقية *؟.

ذكر( الأب ج.فيرون- J.Ferron) في دراسة خاصة لهذا الرّسم، أنّ الشّخص الملتحي الممدّد هو روح الميّت التي تطير في الأجواء العلوية، بينما الشّخص الواقف قد يكون معبودا بحريا(١٤)، في حين يعتقد

(بيزي- AiviBisi) أن هذه الصوّرة البحرية تحمل بعدا جنائزيا، ودينيا، موضوعها رحلة الرّوح نحو مملكة الأموات(١٥)، ومقابل ذلك يرى

(محمد حسين فنطر) أن الشّخص العالق بمقدّمة القارب هو جنّ شرير حاول عرقلة مسار الرّحلة الجنائزية لهذا القارب(١٦)، لكنّه اصطدم بالإله حامي الأموات، الذي يبدو واقفا ومسلّحا الأمر الذي دفع بالجنّ إلى التراجع بسرعة خوفا من ضربات هذا الإله القوية(١٧). يذكّرنا هذا المشهد في الميثولوجيا المصرية القديمة بعرقلة الثّعبان (أبوبيس- Apopis) لرحلة القارب الجنائزي الذي كان يشرب ماء النهر كلّه، فيعجز المركب عن الملاحة.

عبّر الباحثون الذين عالجوا موضوع هذه الجدارية عن رمزيتها الجنائزية وقيمتها الدّينية، فقد حدّدوا تاريخها ما بين عصر البرونز والقرن الثاني قبل

---

(10) M.H.Fantar, Eschatologie phénicienne et punique, INAA,Tunis,1970, p28.

(11)Ibid , p 28.

(12) G.Camps, Aux origines de la bérberie …, p105 ; G.Gotz, La Civilisation égéenne, Paris, 1928, p291.

(13) M.Ghaki, op.cit, pp 157-158

*يرى محمد حسين فنطر (M.H.Fantar) أن أصول القارب فينيقية، ويؤكد على طابع اللوحة الجنائزية وقيمتها الرمزية، في حين يبقى تاريخها غير محدد. ينظر :

M.H.Fantar, Eschatologie…, p26 , 31 ; id , le Dieu de la mer chez les phéniciens et les puniques, Rome, 1977, pp 21-23.

(14) M.H.Fantar, Eschatologie …., p30..

(15) M.Longerstay, op.cit, p37.

(16) M.H.Fantar,Eschatologie.. , p30..

(17) Ibid , p30



المنارة للاستشارات
www.

الميلاد، كما أرجعوا أصولها إلى ثقافات مختلفة كالعالم الإيجي،والفينيقي، والبوني- الليبي[١٨].

يمكن إرجاع رسومات أسلحة هذه الصّورة، إمّا لأهميّة الطّبقة العسكرية بقرطاجة، أو لميولات شخصية مرتبطة بنذور تظهر ثراء صاحب الجدارية، كما يمكن اعتبارها رمزا للإنتصار على الموت، ويمكن تشبيها برسومات الأسلحة التي زيّنت بها مزهرية (سميرات - Smirat) [١٩].يكشف (الأب فيرون- J.Ferron) عن الطابع الجنائزي لجدارية (كاف البليدة)، على اعتبار أنّ الشّخص الواقف على ظهر القارب هوالإله (بعل أمون)، ويقترح تأريخها للفترة البونية اللّيبية مع نهاية القرن السادسأو بدايةالخامس قبل الميلاد، واتّفق مع الباحث (بيزى- A.M.Bisi) أنها تحمل بعدا جنائزيا، ودينيا، تجسّد في رحلة روح الميّت نحو مملكة الأموات[٢٠].

**ب - رسم جبل ملزّة**

يظهر رسم القبر رقم ٨ بمقبرة جبل (ملّزة) صورة من صور التّمثيل الرّمزي[٢١]، يرتفع عن سطح أرضية الغرفة الجنائزية بنحو ٨٠ سم، فوق حزام من المعينات، رسم ضريحين يزيّنان الجدارين الواقعين على يمين ويسار المدخل، وأمامهما وضع الرسّام مذبحا مدرّجا، وتبدو ألسنة نار قربانية مشتعلة، وصورة طائر مجنّح بدون شك يكون ديكا (Coq) رسم هو الآخر على الجدار الأيسر من مدخل هذه الغرفة الجنائزية، وبالجهة المقابلة لمدخلها وجدت كوّة فارغة زيّنت برمز الإلهة (تانيت) التي يعلوها هلال مقلوب نحو الأسفل، وتبدو واضحة مدينة بمساكن، تحيط بها أسوارا وأبراجا مرسومة بوسط الجدار الدّاخلي المقابل للمدخل [٢٢]، تسبقها صورة الطّائر*، يرى محمد حسين فنطر أنها ليست للتّزيين، بل تحكي عقائد خاصة بالعالم الآخر[٢٣].

---

([18]) M.Longerstay, op.cit, p38.

([19])Benyounes Habib , Le Vase de Smirat et le thème de la victoire sur la mort, Reppal, III, Institut d'archéologie et d'Art, Tunis,1987, p24

([20]) M.Longerstay, op.cit, p37.

([21]) Mounir Fantar , Expressions De L'Au-delà dans l'univers phénico- punique, Actes du 5éme colloque international sur l'histoire des steppes tunisiennes, Sbeitla, session 2006, institut national du patrimoine, Tunis, 2008 ,p47 , PL.I ,II,III..

ينظر الصورة ٢

([22]) S .Lancel ,Carthage, p 308-310.

*وجدت آثار ديك بأجنحته المرفرفة مرسومة على قمة ضريح (Cillium) القصرين بتونس تعود للفترة الرومانية. ينظر

S.Lancel , Carthage, p308

([23]) M.H.Fantar, Eschatologie….., p33.



المنارة للاستشارات
www.

إكتفى بعض الباحثين بتفسيرات بسيطة حول صورة هذه المدينة، ومن جملتهم (كامبس) الذي وصفها بأنها مدينة محاطة بسور[٢٤]، وأرجعها (لانسيل- S.Lancel) على أنّها مدينة كركوان بسورها النصف الدائري[٢٥]، ويشير محمد حسين فنطر لوجود هذه المدينة المحصّنة مرسومة على جدران غرفة جنائزية يجب أن تفسّر في إطار العقيدة الجنائزية البونية، فهي المدينة التي تمثّل عالم الأموات[٢٦].

رسمت هذه اللّوحة وفق الإدراك القصصي للفن الشرقي، لأنّ تكرار رموزها مثل الضّريح، والمذبح، والدّيك تترجم اهتماما دقيقا، فهي ترمز لمدّة رحلة روح الميت التي دخلت القبر، ويمكن تفسيرها بأنها حكاية بالصّورة، طريقة مشرقية قديمة، وصورة الدّيك الذي اختفى عن الأنظار، بمعنى أن الروح أخذت مكانها بمسكنها الباطني، ثمّ لتغادره باتجاه المدينة (Cité) مقر التقاء الأرواح لكي تنعم معهم بالخلود، ورمزالإلهة (تانيت) هو نوع من الحماية لروح الميت ضد أية قوة مزعجة، فهي دعاء بالسّلامة للميت[٢٧].

وكان يسمح بدخول هذه المدينة المحصّنة إلاّ من توفّرت فيه الشّروط ، وقام أهله بالطقوس اللاّزمة التي تفرضها العقيدة القرطاجية[٢٨].

إعتمد عدَة طرق لقراءة هذه الصّورة، منهم من اقترح من اليمين إلى اليسار على ضوء الكتابة الفينيقية، وعلى عكس ذلك يرى (كامبس) بدأ دراسة صور هذه الغرفة الجنائزية من الجدار الأيسر، لكن تحديد اتجاه القراءة يكون بالنسبة للميت الممدّد داخل الغرفة الجنائزية مقابل المدخل، وليس بالنّسبة للزّائر، لأن ذلك لا يعني هذا الأخير الذي طالما أخذت ضده احتياطات لفظية مكتوبة، أو جهّزت غرفته الجنائزية داخل أعماق لكي لا تقلق روحه، ويتعرّض قبره للنّبش، يستخلص أنَ نّص الجدارية قد كتب في شكل شريط مصوّر موجه لصاحب القبر وليس للمنقّب، أو الزّائر[٢٩]،ورسومات القبر رقم٨بـ:(جبل ملزّة) تمثّل مدينة محصّنة، ويمكن من خلالها التّعرّف على الرّحلة الأخيرة لروح الميت[٣٠].

كما بيَنت التّنقيبات عن رسومات غرفة جنائزية بونية عثر عليها بـ:

---

([24]) G.Camps ,Aux Origines de la bérberie……, p107.

([25]) S .Lancel, Carthage, p 308 ; M.H.Fantar, Eschatologie….., p 35 n° 82.

([26]) M.H.Fantar, Eschatologie….., p35.

([27]) Ibid , p37 ;

محمد حسين فنطر، الحرف والصورة....، ص٢٥٤.

([٢٨]) محمد حسين فنطر، الحرف الصورة..، ص٢٥٤.

([29]) M.H.Fantar, les études phénciennes et puniques en Tunis à travers des expériences personnelles, I Fenici : lERIoggiDomani, Ricercle, Scoperte, progetti (Roma – 3-5 marzo 1994), Roma 1995, p 320 .

([30]) M.H.Fantar, Les études phéniciennes…, p 321.



المنارة للاستشارات
www.

(قصر السّاعد [٣١]- ksar Saad) بالقرب من مدينة(قربة- Korba)، تظهر من خلالها ثلاثة طيور محلّقة في السّماء، وقارب يقترب من شاطئ رملي، متّجه بدون شكّ نحو جزيرة السّعداء المحظوظين في العالم الآخر[٣٢] .

لقد ربط الباحثون غالبية الرّسومات المنجزة داخل الغرف الجنائزية عامة بالمعتقد الجنائزي، وبالرّحلة التي تقوم بها روح الميّت نحو العالم الآخر[٣٣]،لذلك لا يمكن اعتبار مشاهدها للتّزيين، بل تضمّنت في طيّاتها أبعادا أخروية، خاصة وأن رسم، أو نقش صورة معبد داخل غرفة جنائزية، هو في حد ذاته تعبير كنائي لرحلة روح الميت[٣٤].

تسمح لنا اليوم مجموع المنشآت الجنائزية، والدّلائل المحصّلة من القبور، والرّسومات التي زينت بها، بإعادة بناء، وبالطّريقة الأكثر وفاءً، والممكنة من معرفة كيف اعتقد سكان بلاد لمغرب القديم أثناء الفترة الفينيقية البونية بالحياة في العالم الآخر، وكيفية الوصول إليه.

فبالرغم من قلة المعطيات، إلاّ أنّه أمكن معرفة اعتقاد أنّ حياة الفرد أثناء الفترة الفينيقية البونية لقد انتهت حتما بالموت،لذلك كانت روح الميت تفرض على الأحياء نوعا من الاعتناء كتقديم لها الأثاث الجنائزي بكل أنواعه، والقرابين المختلفة، وتزيين مدفنه بالرّسومات، تحت رعاية الآلهة التي تحافظ على سلامته، وتؤمّن له رحلته نحو العالم الأخر مقابل ذلك يضمن أهل المتوفى لأنفسهم الاطمئنان وراحة البال في حياتهم الدنيويّة [٣٥]

تكمن أهمية هذه الرّسومات ، أنّه باستطاعة الإنسان أثناء تلك المرحلة من مواجهة الموت، والإنتصار عليه، عن طريق الإستعانة رسومات الغرف الجنائزية، وهندسة الأضرحة، زيادة لمختلف الوسائل السّحرية الدينية التي مكّنته من الإعتقاد في الحياة بالعالم الآخر.

---

**(31)**Mounir Fantar, Expressions …., p39 note 14 .

(32)Ibid, p39 .

٣ينظر الصّورة

(33) M.H.Fantar, « L'archéologie punique au cap Bon ». Découvertes récentes, Révista di studiFénici, XIII, 2 Roma, 1985, p217

(34) M.H.Fantar, Eschatologie…., pp33,35,36

(35)S.Ribitchini,« SuiritiFunerariFenicie punicitraArcheologiaestariadellereligioni », En Gonzalez Prats, A. (Ed), El mundo funerario. Actas del III Seminario internacional Sobre Temas Fenicios, Guardamar, 2002), Alicante 2004, p 54



المنارة للاستشارات
www.

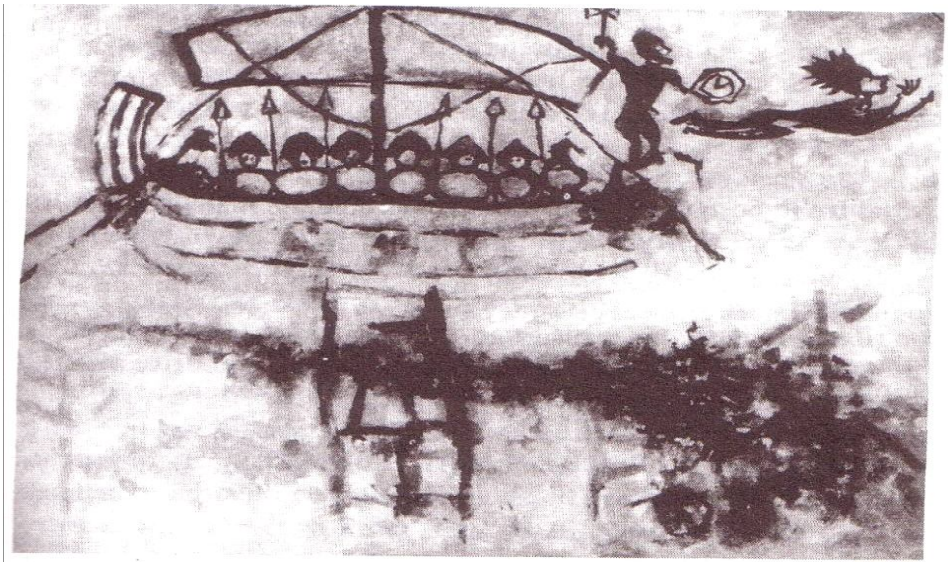

الصورة ١: رسم مغارة (كاف البليدة ) تونسنقلا عن : S.Lancel , Carthage , p 311

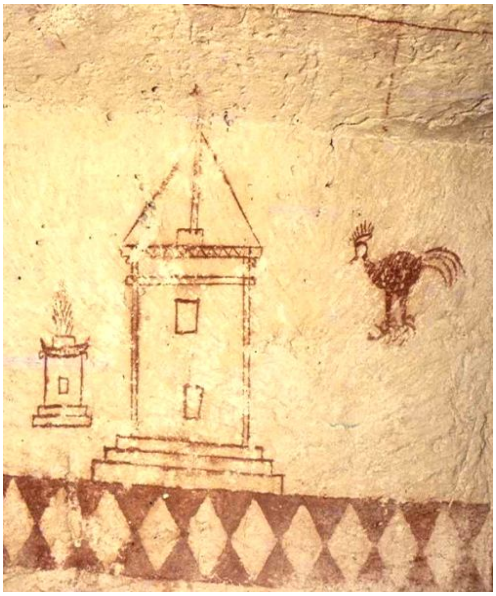

( النفيش) ممثلة في شكل ديك يستعد للدخول إلى القبر

( الرّواح ) ممثلة في شكل ديك مغادرا القبر



المنارة للاستشارات
www.

الصورة ٢ : (الرّواح ) في شكل ديك يستعد لدخول ( الرّيفييم )
Mounir Fantar , Expressions de l'au_delà….., p47

- الصورة ٣ : قبر بوني بـ ( قربة - Korba) تونسنقلا عن :
P.Cintas , ¨ Didon est elle au paradis des iles ?, ¨Mélanges d'archéologie , d'épigraphie et d'histoire offerts à J.Carcopino, Paris , 1966



المنارة للاستشارات
www.